١٢- شكسبير العرب

(مصطفى صادق الرافعي)

قال عنه الزعيم مصطفى كامل بعد أن قرأ شعره :

(سيأتي يوم إذا ذكر فيه اسم الرافعي قال الناس هو الحكمة العالية التي تمت صياغتها في أجمل قالب من البيان) .

إنه الأديب العربي الكبير مصطفى صادق الرافعي الذي ترك لنا أرق و أعذب الأبيات و الكلمات .

ولد مصطفى صادق الرافعي على ضفاف النيل في قرية بهتيم بمحافظة القليوبية في أول يناير عام ١٨٨٠ ميلادية لأبوين سوريين ، وقد وفد من آل الرافعي إلى مصر طائفة كبيرة اشتغلوا في القضاء ، كان على رأسهم الشيخ محمد طاهر الرافعي ، الذي وفد إلى مصر عام ١٨٢٧ م ليكون قاضيًا للمذهب الحنفي بأمر السلطان العثماني .

كان والد الرافعي الشيخ عبد الرازق الرافعي قد تولى منصب القضاء الشرعي في كثير من أقاليم مصر ، و كان آخر عمل له هو رئاسة محكمة طنطا الشرعية .

دخل الرافعي المدرسة ، و نال شهادتها ، ثم أصيب بمرض أقعده عدة شهور و خرج منه مصابًا في أذنيه و ظل المرض يزيد عليه عامًا بعد عام حتى وصل إلى الثلاثين من عمره ، وقد فقد سمعه بصورة نهائية .

بسبب هذا الصمم كان الرافعي يميل إلى الوحدة و العزلة أحيانًا مما أثر في وجدانه لتسكنه حالة من الشجن الدائم ، عبرت عنها أبياته الشعرية و مقالاته الأدبية .

لم يحصل الرافعي في تعليمه النظامي على أكثر من الشهادة الابتدائية ، فكان مثل الأديب العملاق (عباس محمود العقاد) في تعليمه ، فكلاهما لم يحصل على شهادة أخرى .

برغم هذا التعليم البسيط فقد كان الرافعي مثل زميليه العقاد

و طه حسين من أصحاب الإرادة الحازمة القوية ، فلم يعبأ بالعقبات التي وضعتها الحياة في طريقه و إنما كان قوي العزيمة ، أخذ نفسه بالجد و الاجتهاد ،

وعلم نفسه حتى استطاع أن يكتسب ثقافة رفيعة ، وضعته في الصف الأول من أدباء عصره و مفكريه .

بدأ الرافعي حياته الأدبية عام **١٩٠٠م** ، كان اهتمامه في البداية متجهًا إلى الشعر وحده فأصدر عدة دواوين شعرية منها ديوان الرافعي في ثلاثة أجزاء ، ثم أصدر ديوانًا باسم (النظرات) ، لقي شعر الرافعي ترحيبًا في الأوساط الأدبية و نال تأييد زعماء الفكر و الأدب في مصر في ذلك الوقت ، فقال له الشيخ محمد عبده في رسالة بعث بها إليه :

(أسأل الله أن يجعل للحق من لسانك سيفًا يمحو به الباطل ، و أن يقيمك في الأواخر مكان حسان في الأوائل) .

و الشيخ محمد عبده يشير هنا إلى حسان بن ثابت شاعر الرسول عليه الصلاة السلام .

كان معظم شعر الرافعي يدور حول المعاني الإنسانية النبيلة ، و المشاعر الصادقة و أهمها عاطفة الحب ، و كانت معانيه ذات عمق تؤثر في نفوس سامعيها ، فاستطاع أن يجعل لشعره مكانة خاصة بين شعراء جيله البارزين ، رغم أنه لم يكن قد بلغ الثلاثين من عمره .

لم يستمر الرافعي كثيرًا في ميدان الشعر ، و لكنه انصرف عنه إلى الكتابة النثرية أو إلى النثر الشعري ، أو ما يسمى الآن بقصيدة النثر ، و في هذا المجال أبدع عددًا من الكتب التي تفيض بأرقى الصور البلاغية ، والمعاني الرومانسية ، وأهمها (من وحي القلم) ، و هو مجموعة من المقالات النقدية المستوحاة من الحياة الاجتماعية المعاصرة ، و القصص و التاريخ الإسلامي ، المتناثر في العديد من المجلات المصرية الشهيرة آنذاك مثل الرسالة و المؤيد و البلاغ و المقتطف و السياسة .

كتب الرافعي أيضًا (حديث القمر) عام **١٩١٢** بعد عودته من لبنان مناجيًا فيه الأديبة الشهيرة مي زيادة ، و (كتاب المساكين) و فيه يعيش الآلام الإنسانية الكثيرة الألوان المتعددة الظلال .

من روائع الرافعي كتاب (رسائل الأحزان) ففيها إشراقة الروح ، و مرارة القلب ، وفيها يقول :

(هي رسائل الأحزان ، لا لأنها من الحزن جاءت ، ولكن لأنها من الحزن انتهت) .

بعد كتاب (رسائل الأحزان) كتب الرافعي (السحاب الأحمر) وهو يدور حول معنى الوحدة و الفراق ، و (أوراق الورد) وهو مجموعة من الرسائل في فلسفة الحب و الجمال ، وفيه يقول هذه الأبيات الرائعة :

يا من على البعد تنسانا و نذكركا

لسوف تذكرنا يومًا و ننساكا

إن الظلام الذي يجلوك يا قمر

له صباح متى تدركه أخفاكا

في مايو **١٩٣٧م** ، رحل الرافعي الأديب و الشاعر الذي خلدته أبياته ، فكانت قمرًا منيرًا يبدد ظلام الكون من حولنا لتبقى ذكراه نابضة بالحياة على الدوام .

obeikandl.com